كلمة الاشتيام

قرأت في الصفحة ٢٤٥ من الجزء ٦ من المجلد ١٧ من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق كلمة للاستاذ المغربي عنوانها : كلمة الاشتيام في شعر البحتري . ولقد رأيته أغرب في مواطن من هذه الكلمة منها

١ — جعله احمد بن دينار رئيس المركب ورئيس الملاحين .

٢ — قوله ان البحتري أطلق لفظة الاشتيام على احمد .

٣ — تهكمه ببيت البحتري الذي فيه لفظ الاشتيام وتشبيهه اياه بقول القائل

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

٤ — قوله وليس شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا تحليل كلمة الاشتيام الواردة في شعره .

٥ — وهو أغرب ما فيها ما تكلفه من الوجوه لجعل الاشتيام محرفة عن الاشناء . ولا بد لايضاح الحقيقة الناصعة بحسب ما نراه من ذكر امور نتبين بها قيمة هذا البيت وقيمة القصيدة التي هو منها وقيمة الشاعر الذي نظمها .

البيت

ورد هذا البيت بروايات مختلفة فقد جاء في ديوان البحتري المطبوع في بيروت على هذا الوجه .

يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر

وهو الذي ذكره الاستاذ في كلمته هذه . ورواه ابو العلاء في عبث الوليد ص ١٠٣ والشريف المرتضى في أماليه ج ٣ ص ٥١ . دون الاشتيام .. وفوق السماط .. ورواه ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ دون الاستنام . وفوق السماط . . وروى صاحب نهاية الارب في ج ٦ ص ١٩٧ اكثر هذه القصيدة ولم يذكر هذا البيت .

ومما لا شك فيه ان في رواية العسكري دون الاستنام تحريفاً من النساخ . وان أقرب الروايات الى براعة البحتري وحذقه رواية المعري والمرتضى . دون الاشتيام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تفسير البيت

غض — يقال غض بصره وطرفه اذا خفضه وكسره ويقال غض طرفه اذا دانى بين جفونه ونظر . وغض الطرف بهذا المعنى من الصفات المحمودة ففي الحديث كان اذا فرح غض طرفه أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه . يفعل ذلك ليكون أبعد من الأشر والمرح . ويقال فلان غضيض الطرف نقي الظرف والعرب تمدح بهذه الخلة قال الفرزدق:

يغضي حياء ويغضى من مهابته

وأغضى وغض بمعنى واحد أي دانى بين جفونه . وغض الطرف بين يدي العظيم امارة على الطاعة وحسن الادب وقد قال ابن عباس في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى . مازاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به . وعلى هذا المفسرون . وقال ابن قيم الجوزية في التبيان ص ٢٦١ نفى عن نبيه ما يعرض المرائي الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام ... اذ لم يلتفت جانباً ... بل قام مقام العبد الذي أوجب ادبه اطراقه واقباله ... وهو مع ذلك يدل على عظمة من يغض الطرف دونه .

الاشتيام

ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من أهل اللغة لم يذكروا كلمة الاشتيام وان البحريين الذي يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام ولم يجزم بأنها عربية او اعجمية وانما قال اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وهمزتها حينئذ همزة وصل وبين وجه التسمية بالمصدر . وان كانت أعجمية فهمزتها همزة قطع وعلى الاول يكون في البيت زحاف . هذا كل ماذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الاصل وانما هي من وضع المتأخرين .

وقد قال صاحب اللسان الاشتيام رئيس الركاب وفي التاج رئيس الركاب والملاحين

السماط

جاء السماط بمعنى جانب الشيء وبمعنى صدر الوادي الى منتهاه وبمعنى الصف من الناس يقال قام القوم حوله سماطين اي صفين وكل صف من الرجال سماط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ذكرنا ان البيت روي على وجهين · وقوف السماط · وفوق السماط

ونزيد الآن ان فاعل يغضون في هذا البيت لم يتقدم له مرجع معين في كلام البحتري فان كان يريد الملاحين فهو يصفهم بالادب وغض الطرف امام رئيسهم ووقوفهم له وقوف السماط بين يدي الامير العظيم احتراماً له هذا على الرواية الأولى : وقوف السماط وهذا معنى غير غث ولا مستهجن لأن المعروف ان الذين يقفون سماطاً للأمير يتأدبون أمامه ويعظمونه حتى جعلوا مثلاً على ما تبين لك من كلام ابن القيم السابق والملاحون قد يكونون على غير هذا الوجه ولذلك مدح البحتري هؤلاء ونعتهم بما يدل على الادب والاحترام امام الاشتيام ·

وعلى الرواية الثانية : وفوق السماط يكون المعنى انهم يغضون ابصارهم في موضعين أمام رئيسهم الاشتيام · وبين يدي الامير فوق السماط اي جانب السفينة أو ما بين صدرها ومنتهاها ·

وان كان البحتري يريد الجند والمقاتلين الذين معه في السفينة فهو يصفهم مع شجاعتهم باحترام الاشتيام وغض العيون بين يديه ووقوفهم له وقوف السماط للامير على الرواية الاولى · ويصفهم بغض العيون في موضعين كما تقدم على الرواية الثانية · وقد جاءت كلمة دون بمعنى امام وقدام

ومثل هذا التشبيه لا ينكر ولا يعاب الا ترى انك لو قلت تلاميذ فلان او بنو فلان يقفون بين يدي استاذهم او ابيهم وقوف السماط للامير العظيم ويغضون أبصارهم امامه لكان ذلك حسناً مستحسناً · ومن هذا يتبين لك ان بيت البحتري هذا لا يشبه قول القائل : (كأننا والماء من حولنا ·) بوجه من الوجوه على أي تأويل أولته او محمل حملته

الاغلاط في البيت او القصيدة او شعر البحتري

اذا تأمل الانسان قول الاستاذ ··· وليس من شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الاغلاط ··· خيل اليه ان شعر البحتري كله غل قمل او جرح نغل او أديم تعيث فيه الديدان والقردان · وقد استعرضت ابيات هذه القصيدة كلها وأعدت النظر فيها مرة بعد أخرى فما رأيت فيها شيئاً من الغلط ولا من السقط وانما كنت أرى في كل بيت نوعاً من الروعة والجمال يخيل الي ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسن انتهى اليه ووقف عنده فما له متقدم عنه ولا متأخر فاذا انتقلت الى البيت الذي يليه انتقل هذا الظن اليه واعتقدت فيه ما اعتقدته في سابقه فلما انتهيت الى آخر القصيدة وجدتها كأنها حديقة غناء تضم انواعاً من الازاهير الجامعة بين الألوان الرائعة والريح الطيبة وفيها من حسن الترتيب والتنسيق والبراعة في الصناعة مالا يستكثر مثله على البحتري ولا يتأتى لغير البحتري

القصيدة فى رأي المتقدمين

ولقد رأى مثل ما رأيت وفوق ما رأيت في هـذه القصيدة من الروعة والدقة والاحكام والجودة وجمال الديباجة وحسن التشبيه والاستعارة وغير ذلك من ضروب المحاسن وأنواع المحسنات جماعة من المتقدمين من اعلام الادباء وجلة العلماء العارفين دقائق الصناعة والواقفين على اسرار البلاغة منهم عبد الله بن المعتز وابو هلال العسكري والشريف المرتضى والخليفة المكتفي بالله وجماعة كثيرون .

قال ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ ولم يصف احد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب الا البحتري أخبرنا به ابو احمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها . وقصيدته في البركة . ميلوا الى الدار من ليلى نحييها . واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها وقصيدته في دينار [1] بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه احد قبله اولها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) ووصف حرب المراكب في البحر لكان اشعر اهل زمانه فكيف اذا اضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته

غدوت على الميمون صبحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر

(١) كذا في ديوان المعاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في نهاية الارب ج ٦ ص ١٩٧ بعد ان نقل شيئاً من كلام العسكرى .. وعدوا قصيدته هذه من عيون قصائده وفضلوها على كثير من الشعر ...

اما شعر البحتري فمن الاسراف ان نذكر ما قاله العلماء والائمة في مدحه واطرائه وكتب الادب طافحة بما يغنينا عن الاطالة فيه وهذا ما حملنا على ان ننكر على الاستاذ المغربي كلمته المتقدمة على ما فيها من الايهام والابهام

ويزداد انكارنا عليه في هذه القصيدة المقولة في غرض لم يتقدم ابا عبادة احد من الشعراء في ابتكاره ولم يشق احد من المتأخرين غباره فيه .

واذا استطاع ابو العلاء واضرابه ان يعثروا على بعض الخطأ في كلام البحتري . فليس ذلك بمسوغ ان يقال ان الاغلاط تعيث في شعره والمثل يقول لا تعدم الحسناء ذاما والآخر يقول كفى المرء نبلاً إن تعد معايبه

أما ما ذكره ابو العلاء في عبث الوليد في هذا البيت فخلاصته ان لفظ الاشتيام اذا كان عربي الاصل فان همزته همزة وصل وعلى هذا التقدير فان في البيت زحافا . ونحن نقول يلزم على التقدير المذكور أحد امرين اما قطع همزة الوصل في اشتيام وحينئذ يسلم الحشو من الزحاف ويبقى في العروض وهو واجب . واما ابقاؤها وصلية وحينئذ يكون الجزء الثاني من الحشو والعروض مقبوضين . وكلاهما وقع في كلام المتقدمين اما الاول فكقول قيس بن الخطيم

اذا جاوز الاثنين سر فانه بنث وتكثير الوشاة قمين

وقول جميل

ألا لا أرى اثنين احسن شيمة على حدثان الدهر مني ومن جمل

وقول الآخر

مناقب في الجلاح كانت قديمة فسار عليها ابنه يتتبع

وأما الثاني فكثير في كلام العرب كقول امرئ القيس في معلقته

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل موئل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله في سينيته

مغرثة زرقًا كأن عيونها من الذمر والايحاء نوار عضرس

وقوله في تائيته

وعنس كألواح الإران نسأتها على لاحب كالبرد ذي الحبرات

وقوله في رائيته

كأن صليل المروحين تشذه صليل زبوف ينتقدن بعبقرا

وقوله في ضاديته

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقوله في نونيته

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

وقوله في بائيته

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله في لاميته

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وقول طرفة

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقول النابغة في بائيته

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجرب

وقوله في عينيته

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت اني المتنأى عنك واسع

وقول الشنفرى

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

وقول زهير في معلقته

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا ابالك يسأم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى غـير ذلك من الأبيات التي لا تكاد تحصى وكلها وقع فيهـا قبض العروض والحشو الذي قبلها كما وقع في شعر البحتري على تقدير ان الاشتيام عربية وقلما سلمت قصيدة للمتقدمين والمتأخرين من ذلك ومنهم ابو العلاء واذا وعيت ما ذكرنا اتضح لك ان أبا عبادة احتذى على مثال الشعراء المفلقين وطبع على غرار النوابغ المفيقين . وان بيته هذا لم يعث فيه شيء من الاغلاط

أما قول الاستاذ المغربي . [احتمال ان تكون الاشتيام عربية احتمال بعيد . واستدلاله على ذلك بأمرين الأول ان المعاجم لم تذكر في مادة شام ان الاشتيام اسم لرئيس المركب . . . والثاني ان اشتام البرق لم يرد بمعنى شامه فهي في غالب الظن اعجمية . . .]

ففيه نظر من وجوه منها ان كتب اللغة لم تحط بكل مفرداتها و كثيراً ما استدرك اللاحق على السابق ومنها ان اكثر كتب اللغة لا تستوفي ذكر المشتقات . ومنها ان اللغويين كثيراً ما يغفلون ذكر الكلمة في مادتها ويذكرونها في غيرها عرضاً أما الأول فلا يحتاج الى تمثيل ولا الى اقامة دليل وأما الثاني فمثاله لفظة تكشر فانها وردت في قول الفرزدق

فقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفي من يدي بمكان

ولم يذكرها اللسان ولا القاموس ولا التاج ولا الصحاح ولا المصباح ولا الاساس ولا النهاية ولا مختار الصحاح ولا مفردات الراغب ولا . ولا . مع أنها مشتقة من المزيد على الثلاثي بحرفين

ومثال الثالث لفظ الخصائص فقد ورد في نهج البلاغة في خطبة لعلي رضي الله عنه وسمى به جماعة من العلماء كتبا لهم منها : خصائص في فضل علي رضي الله عنه للنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ومنها خصائص الطرب لكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ ومنها الخصائص لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ومنها خصائص السواك لأبي الخير احمد القزويني ومنها الخصائص النبوية للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وغيرها .

وان أصحاب كتب اللغة المذكورين آنفاً لم يذكروها في مادة خص . وانما ذكرها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل من صاحب اللسان والتاج والنهاية في مادة ضن فهي شبيهة بالاشتيام من هذا الوجه

ولو كان ابو العلاء يعلم انها غير جائزة لذكر ذلك عند كلامه على هذا البيت واذا كان ابو العلاء يجهلها على شدة اضطلاعه وسعة اطلاعه وطول باعه فان رحمة الله التي وسعته لا تضيق عن البحتري اذا جهلها وهو أقل منه اطلاعاً على اللغة وانزر حفظاً لفصيحها وغريبها .

على ان الاستاذ المغربي ذكر في مقالته هذه لفظ تحليل في ص ٢٤٦ سطر ٢ و ١٤ وأعادها في ص ٢٤٧ سطر ٤ وكذلك ذكر لفظ المعاجم ص ٢٤٦ سطر ٣ وص ٢٤٧ س ٦ وذكر لفظ العجالة ص ٢٤٦ س ١ ولم يذكر احد من اللغويين الذين سبق ذكرهم واحداً من تلك الالفاظ بالمعنى الذي يريده الاستاذ منه ولا وقع في كلام أحد ممن يوثق بعربيته فهلا وسع البحتري في كلمة واحدة ما وسع الاستاذ في ثلاث كلمات وكلمة البحتري أقرب الى الصحة منهن . واذا كانت الاغلاط تعيث في شعر أبي عبادة من أجل كلمة واحدة فماذا يجب ان يقال في مقال الاستاذ وفيه اكثر من كلمة والبحتري في شعره مقيد بوزن وقافية وليس في قصيدته شيء من كلام غيره

وبهذا القدر يظهر ان الاستاذ أسرف في الغض من كرامة البحتري واشتط في الحكم عليه وعلى شعره . هذا ما يتعلق بالاشتيام والبيت الذي ذكر فيه والقصيدة التي هو منها

هل كان أحمد بن دينار رئيساً للملاحين

ذكرنا ان الاستاذ المغربي جعل احمد بن دينار رئيس المركب مرة ورئيس الملاحين أخرى وقال . ان البحتري اطلق لفظ الاشتيام عليه .

ولم أر احداً ذكر ان احمد بن دينار كان رئيساً للملاحين في المركب وان ما وقع في كلام القوم لا يدل على ذلك .

فقد قال الشريف المرتضى انه غزا الروم في مراكب . ولا يتأتى بحسب العرف ان يكون رجل واحد رئيساً للملاحين في مراكب بل في مركب واحد

وفي ديوان البحتري . وقال يمدح احمد ... ويصف مركباً كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال البحتري في هذه القصيدة ٠٠ ولما تولى البحر ٠٠ وحولك ركابون للهول ٠٠ تميل المنايا ٠٠٠ اذا أصلتوا حد الحديد ٠٠ اذا رشقوا بالنار ٠٠ صدمت بهم صهب العثانين ٠٠٠ تقارب من زحفيهم ٠٠٠

والمعروف ان الذي يقاتل في البحر أمير الجند بالجند لا رئيس الملاحين بالملاحين لأن هؤلاء يعملون في تسيير السفينة لا في مقاتلة الاعداء

وكثيراً ما وقع في كلام المتقدمين ٠ غزا فلان البحر وغزا فلان جزيرة كذا وهم يريدون انه كان أميراً او رئيساً للغزاة لا للملاحين قال ياقوت اراد جزيرة غزاها المسلمون مع جنادة في أيام معاوية ٠ وقال احمد بن جابر غزا جنادة بعد فتحه جزيرة أرواد اقريطش ٠ وقال ياقوت غزاها حميد بن معيوف ٠ وقال ياقوت غزا معاوية قبرس ورودوس ٠٠ ولم يحدثنا التاريخ ان معاوية كان ملاحاً ولا رئيساً للملاحين

فاذا عرفنا هذا تبين لنا ان احمد بن دينار كان والي البحر ورئيساً او أميراً على الجند الذي كان يحارب به الروم وليس رئيساً للملاحين ولا اشتياماً

جعل أشنا أصلاً لاشتيام

لقد أفاض الاستاذ في البحث عن أصل كلمة اشتيام وردها الى اشنا الاعجمية ولكن ما ذكره من المراحل التي قطعتها هذه الكلمة في نشأتها وما تعاقب عليها من الأطوار من تنكير وتعريف وتغيير وتحريف وزيادة ونقص وتحويل الهمزة الى ميم ذات ذنب قصير ونحو ذلك من ضروب العمليات كله قائم على الظن لا يعهد له نظير فيما عرب من الالفاظ الاعجمية ولو ساغ مثل هذا في الاشتيام لجاز لنا ان نقول انها محرفة عن الاستيار بمعنى الامتيار او الاستيار المأخوذة من معنى السير ٠ او الاشتيار بمعنى أخذ العسل من خلاياه او ٠ او ٠٠

ولكان جعلها محرفة عن مثل هذه الكلمات أقرب الى فهم ما يراد منها وأقل تكلفاً وتغييراً وتحويلاً مما ذكره ٠

على أننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل هذا ما بدالي في كلمة الاشتيام وعسى ان يكون بريئاً من الغلط بعيداً من الشطط ان شاء الله تعالى

سليم الجندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net